صفات الدّاعية وتطبيقاتها الدعوية من خلال "زاد المعاد" لابن القيم رحمه الله دراسة وصفية تحليلية

The Characteristics of the Islamic Preacher and Their Applications in Dawah as Derived from *Zād al-Ma'ād* by Ibn al-Qayyim

DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.18447556

*Sohail Abdul Hai
**Dr. Abdelhamid Abdelkader Kharroub

Abstract

There is no doubt that the most important things that the Muslim preacher should pay attention to it in the da'wah process are the morals and good qualities that help the Muslim preacher to win over the invitees and influence them, and since many good qualities cannot be confined to these short papers, however, the researcher will try to point out the most important of these characteristics. The Muslim preacher strives to create with it and to comply with it, so that it becomes a temper and impresses itself on him, and because of its importance, the Muslim scholars have been keen to mention it in their books and writings.

Scholars have divided it with many considerations. Some of them divided it into intellectual qualities, which include intelligence, tact, intuition, high energy, and moral qualities such as modesty and dreams, attributes of faith such as sincerity and piety, and psychological attributes such as humility, fairness, and chastity. And some of them divide them into positive qualities that require the creation of negative qualities that the caller should avoid, and some divide them into basic qualities, such as faith and sincerity, and necessary qualities, such as planning for the call, seizing opportunities, etc.

Looking at the book of Zad al-Ma'aad, we find that it includes many characteristics related to the Da'i that need to be explored, researched and extracted from the midst of this valuable book, or by deducing them from the verses and hadiths contained in the chapters of the book, or from the divisions of Imam Ibn al-Qayyim (may God have mercy on him) which indicate his broad knowledge and broad awareness and that he is one of the most important scholars who set an example for preachers and reformers, and it is worth noting that these qualities cannot be limited to this humble research, except that the researcher will point to the most important qualities that the Da'i should possess and create.

Keywords : Imam Ibn al-Qayyim, Zad al-Ma'aad, Muslim preacher, Da'wah.

**Phd scholar ,Department of Dawah and Islamic Culture International Islamic University Islamabad*
***Assistant professor department Dawah and Islamic Culture at the International Islamic University Islamabad.*

مقدمة

إنّ الدّعوة إلى الله وظيفة من أشرف الوظائف،ومهمّة من أعظم المهمّات،وهي وظيفة الأنبياء والرسل،ومهمة كل من أراد الله به خيرا ورفعة وسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ][1].

ولا شـــك أن أهمّ الأمور التي ينبغي للمســـلم الداعية الاهتمام بها في العملية الدعوية،هي الأخلاق والصفات الحسنة التي تساعد على استمالة المدعوين والتأثير عليهم، وبما أن هذه التطبيقات الدعوية للصفات الحسنة كثيرة، ولا يمكن أن تحصر في هذا البحث، إلا أنّه ما لا يدرك كلّه، لا يترك جلّه، ولذلك سنذكر أهم التطبيقات الدعوية لأخلاق المسلم الداعية، والتي تمّ استخلاصها من كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله، ويحرص المسلم الداعية على تطبيقها في عمليته الدعوية، ولأهميتها في الدعوة إلى الله حرص العلماء المسلمون على تضمينها في كتبهم ومؤلفاتهم.

وبالنظر الدقيق في كتاب زاد المعاد،،والبحث العميق في تقسيم أبوابه، والتنقيب في تعليقاته، وجمع اســـتنباطاته من الآيات، والأحاديث التي يوردها، والتي تدل على سعة علمه واتساع مداركه، نجد كتابه يشتمل على نماذج كثيرة من التطبيقات الدعوية لأخلاقيات المسلم الداعية، والتي تمثل كنزاً، يستفيد الداعية منه في أداء واجبه.

المبحث الأول : الامام ابن القيم، والأهمية العلمية لكتاب زاد المعاد

المطلب الأول : ترجمة الامام ابن القيم

أولاً : اسمه ونسبه ووفاته:

هو الفقيه؛ الإمام؛ الحجة؛ المجدّد المفتي المتفنن النحوي، أحد أركان الإصلاح شمس الدين : أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بن أبي بَكْرَ بن أَيُوبَ بْن سعد بْن حريز بْن مَكّي زَيْن الدّين، الزرعي، الدمشقي الحنبلي[2]، ولد رحمه الله في دمشق[3] سنة 691 هـــ، توفي رحمه الله ليلة الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة (751هـــ)، وكان يبلغ من العمر ستون سنة[4].

ثانياً: ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى العلماء المسلمون العظام على الإمام ابن القيم رحمه الله، بسبب ما قدمه للأمة الإسلامية من علم جم في مختلف العلوم الإسلامية، لذلك ذكروا فضله رحمه الله في كتبهم ومؤلفاتهم، بل إن الكثير من العلماء عدوه من الأئمة الأعلام في الأمة الإسلامية، ولا شك في ذلك؛ ونظراً لكثرة ما أورده العلماء في هذا الباب،فسنورد بعضا من أقوالهم في الإمام رحمه الله :

قال شيخه المزي[5] : "هو في هذا الزمان كابن خزيمة في زمانه"[6].

وقال الحافظ ابن كثير[7]: "الإمام العلامة ... سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لاسيما: علم التفسير، والحديث، والأصلين"[8].

وقال الحافظ ابن حجر[9]: "كان جرئ الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف"[10].

وقال السخاوي[11]:"العلامة، الحجة، المتقدم في: سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان"[12].

فهذه نماذج من أقوال العلماء رحمهم الله في ذكر فضله وعلمه، والثناء عليه، والتي تدل على الاعتراف بفضله وإمامته، وأنه من العلماء الأعلام لأمة الإسلام، وبالنظر لمكانة هؤلاء العلماء العظام وعلو شأنهم ومكانتهم، كالحافظ المزي، وابن كثير، ابن حجر وغيرهم،فإن هذا يدلنا على فضله وإمامته.

ولم يكن ابن القَيِّم رحمه الله لينال هذه الدرجة الرفيعة إلا بعون الله تعالى، ثم بِهِمّة عالية، وجهد متواصل، وصبر وجلد، مع ما آتاه الله عز وجل من فهم، وذكاء، وقوة حفظ، فأتاح له كل ذلك الوصول إلى تلك الدرجة، ونيل المنزلة العليا[13].

ثالثاً: عوامل نبوغه :

1- كثرة ابتهاله وتضرعه لله تعالى، وانشغاله طوال وقته في الطلب، قال ابن كثير رحمه الله "فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال ..."[14].

2- سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق ثقافته، ويدل على ذلك ما ذكره العلماء الذين ترجموا له بقولهم : "سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير، والحديث والأصلين..."[15].

3- ملازمته الشديدة للعلماء الأعلام والموسوعيين الذين كان لهم باع طويل في العلم، ويدل على ذلك كثرة العلماء الذين تتلمذ على يدهم ومنهم : شيخ الاسلام ابن تيمية[16]، ووالده قيم الجوزية[17]، والامام المزي وغيرهم الكثير.

4- شغفه الكبير بجمع الكتب العلمية في شتى العلوم واقتنائها، ويدل على ذلك قول ابن كثير رحمه الله عنه "واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السّلف والخلف"[18]، وقال ابن حجر أن أولاده كانوا يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً[19]، مما يدل على كثرتها ووفرتها.

5- طلبه للعلم في سن مبكرة، كما هو الحال في أغلب الأسر الإسلامية في ذلك الوقت، فقد بدأ الطلب في السابعة من عمره، حيث أن البيئة كانت مهيئة لذلك، فسمع من الشهاب العابر[20] وقال

عن ذلك رحمه الله : "وَسَمِعْتُ عَلَيْهِ عِدَّةَ أَجْزَاءٍ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لِي قِرَاءَةُ هَذَا الْعِلْمِ عَلَيْهِ لِصِغَرِ السِّنِّ وَاحْتِرَامِ الْمَنِيَّةِ لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى"[21].

المطلب الثاني : الأهمية العلمية لكتاب زاد المعاد

يعتبر كتاب زاد المعاد موسوعة علمية لا يستغني عنها الإنسان وبشكل خاص العلماء حيث يعد مرجعاً مهماً في العلوم الإسلامية كالسيرة والفقه والتوحيد والتفسير وعلم الكلام والحديث وغير ذلك من العلوم، إن أفرز من هذا الكتاب كل موضوع على حده تسنت الاستفادة منه، ولكنه رغماً من ذلك كله يعتبر من أهم كتب الإسلام التي تقوم مقام مكتبة بأسرها، وأن وجوده كوجود عالم كثير الفنون[22]، فالكتاب يتحدث عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والصحة، والأقضية والأحكام.

وبالنظر إلى عنوان الكتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" تتضح لنا أهمية الكتاب العلمية حيث أن الإمام ابن القيم رحمه الله جمع فيه أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وبيان الهدي النبوي في الحياة اليومية، وقد صرح الإمام ابن القيم بهذا قائلاً: "وليس مقصودنا إلا ذكر هديه صلى الله عليه وسلم الذي كان يفعله هو، فإنه قبلة القصد؛ وإليه التوجه في هذا الكتاب؛ وعليه مدار التفتيش والطلب وهذا شيء؛ والجائز الذي لا ينكر فعله وتركه شيء، فنحن لم نتعرض في هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز؛ وإنما مقصودنا فيه هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يختاره لنفسه؛ فإنه أكمل الهدي وأفضله"[23].

فالإمام ابن القيم رحمه الله بين أن الهدف الرئيسي لتأليفه لهذا الكتاب هو بيان التطبيقات العملية للإسلام في الحياة اليومية للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يخفى على اللبيب الفطن أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لنفسه إلا ما هو خير،ولا يعمل إلا بما هو خير، والإمام ابن القيم اختصر الطريق للباحثين والدعاة، فجمع في هذا الكتاب، ما تفرّق في غيره، وذكر فيه جواهر الفرائد، وتميز بالتطبيقات الدعوية، التي تخفى على الكثير من أهل العلم، والتي هي نبراس يهتدي بها المسلم في حياته الدعوية خاصة، وحياته اليومية بشكل عام، وإن من الأمور التي تبرز لنا الأهمية الدعوية للكتاب ما يلي :

1- اهتمام العلماء بزاد المعاد

لقد اهتم العلماء بدراسة كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد قديماً وحديثاً، مما يدل على رفعة منزلة هذا الكتاب ومكانته عند أهل العلم، ومن أهم هذه الدراسات :

أ- نظم الحسن بن اسحاق بن المهدي[24] كتاب زاد المعاد من أوله إلى آخر كتاب الجهاد، وسماه منظومة الهدي النبوي.

ب- شرح هذه المنظومة الإمام محمد بن قاسم الوحيد، في كتاب المنهاج السوي في منظومة الهدي النبوي[25].

ت- اختصره الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب وأسماه مختصر زاد المعاد[26].

ث- اختصره الدكتور مصطفى محمد عمارة، وأسماه ثمر الوداد[27].

ج- محمد الرملي، درس المنهج النقدي لروايات المغازي والسير عن الإمام ابن القيم في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد[28]، وكذلك درس محمد أبو شعبان[29] كتاب زاد المعاد وبين منهج الإمام ابن القيم رحمه الله في مختلف الحديث من خلاله.

2- معالجة الكتاب للكثير من الجوانب الدعوية :

لقد عالج كتاب زاد المعاد الكثير من الجوانب الدعوية التي تدل على أهمية دراسته من الجانب الدعوي واستخراج الفوائد الدعوية منه،وأهمّها:

أ- التيسير على المدعوين :

أشار المؤلف إلى أن من صفات الداعية الشفقة والرحمة بالمدعوين وذلك في معرض حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يعد قدوة للدعاة، أنه كان يترك العمل بالمستحبات مخافة المشقة على المدعوين، فقال : "مع ما في ترك ذلك من الرحمة بأمته والرأفة بهم، فإنه لو اعتمر في رمضان لبادرت الأمة إلى ذلك، وكان يشق عليها الجمع بين العمرة والصوم، وربما لا تسمح أكثر النفوس بالفطر في هذه العبادة حرصاً على تحصيل العمرة وصوم رمضان، فتحصل المشقة"[30].

ب- الإجابة الشافية للسائلين:

ذكر ؒ أن من وظائف الداعية الإجابة عن أسئلة المدعوين، وإزالة الغمة عنهم، وذلك عند حديثه عن الوفود التي استقبلها النبي ﷺ، وكيفية تعامله معها، فقال : "فيه دليل على أنه كانوا يوردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه صلى الله عليه وسلم الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه : للتعنت والمغالبة، وأصحابه : للفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلاً عن سؤاله إلا ما لا جواب عنه"[31].

ت- استخدام الوسائل الدعوية:

إن من أهم الوسائل الدعوية إرسال الرسل والرسائل للمدعوين، وإلى هذا أشار المؤلف ؒ في كتابه فذكر رسائل النبي ﷺ للملوك والأمراء، فقال : "لما رجع من الحديبية، كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل

إليهم رسله"[32]، فأفرد لذلك فصلاً كاملاً يذكر فيه رسائله لملك الروم، والنجاشي، وكسرى، والمقوقس وغيرهم، مما يدلنا على الأهمية الدعوية للرسائل وأهمية إرسال الرسل في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني : التطبيقات الدعوية لأخلاق المسلم الداعية

المطلب الأول : عدم طلب الأضواء

يقصد بهذا التطبيق الدعوي أن المسلم الداعية لايطلب الأضواء، ولا يحب الشهرة والجري وراءها، بل يكون حريصاً على أن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، بعيداً عن تزيين عمله وعلمه أمام الناس، متصدراً المجال الدعوي في كل حال سواء كان المدعوون من عامة الناس أو خاصتهم، ولا يكون كالدعاة الذين يدعون الناس إذا كانوا من أهل الجاه، أو تكون دعوته فقط في الأماكن المليئة بآلات التصوير،وغيرها من الوسائل التي تجلب الشهرة،وخاصة الرياء الذي إذا خالط العمل أفسده،فالمسلم الداعية حريص كل الحرص على البعد عن تلك الأماكن التي تحبط أعماله،وتفسد عليه دعوته.

فالإخلاص هو الأساس الذي تنبني عليه جميع الأعمال، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[33]، فالصحابي الذي هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن همه الهجرة، بل كان همه وشغله الشاغل نكاح المرأة التي كان يريدها، فلم ينل ثواب الهجرة، فالداعي المسلم ينبغي أن لا يكون عمله الدعوي لأجل الدنيا والشهرة والجاه، بل يكون عمله نابعاً عن الإخلاص لله وحده، داعياً لله في أي حال كان وداعياً لكل أحد مهما كانت منزلته في المجتمع، سواءً كان من العوام أو الخواص، لذا يجب على الداعي أن يخلص نيته في عمليته الدعوية، حيث أن الله أمر بذلك فقال: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[34].

ويدل على هذه الصفة قول الإمام ابن القيم رحمه الله "وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ"[35]، فقوله فيه دليل صريح على أن صلاح القلب لا يأتي إلا بالإخلاص لله تعالى، فالداعي أولى الناس بصلاح القلب، لأن صلاح القلب يستجلب صلاح الدعوة، فالفرد المسلم مطالب بالإخلاص لله وحده في جميع الأعمال سواء كان هذا العمل متعلقا بأمر دنيوي أو متعلقا بأمر أخروي، وسواء كان ذلك العمل دعوة أم عبادة، فيجب على الداعي أن يقصد بدعوته وجه الله، وأن يحرص على الابتعاد عن كل ما يشوبها من الرياء والسمعة وغيرها من الأعمال الفاسدة.

كما تستنبط هذه الصفة من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي نقله الإمام ابن القيم في كتابه حيث نقل خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك والتي قال فيها : (وَمَنْ يَبْتَغِ السُّمْعَةَ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ)[36]، قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ مَنْ رَايَا بِعَمَلِهِ وَسَمَّعَهُ النَّاسَ لِيُكْرِمُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَعْتَقِدُوا خَيْرَهُ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّاسَ وَفَضَحَهُ، ...، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ النَّاسَ أَسْمَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ وَكَانَ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنْهُ"[37]، فإخلاص العمل لله تعالى وحده هو أساس لقبول العمل، فإذا كتب الله له القبول بارك فيه، فإذا قصد الداعي بدعوته غير وجه الله تعالى لم يبارك الله فيها ولا يكتب لها قبولاً عند المدعوين، كما دل على ذلك شرح النووي رحمه الله "وكان ذلك حظه منه" أي أن الله لن يترك لدعوته أثراً في نفس المدعوين، كما أنه لن يثيبه على دعوته في الآخرة، كما دل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر أول من تسعر بهم النار حيث ذكر منهم العالم والداعي الذي أراد بدعوته السمعة الشهرة بين الناس أن الله ألقاهم في النار لأنهم أرادوا السمعة والشهرة بين الناس في الدنيا فأعطاهم الله ذلك في الدنيا فلا يكون لهم الأجر في الآخرة على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يبين حالهم : (وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)[38]، فالإخلاص سبب رئيسي في نجاح العمل الدعوي، وإذا فقد الإخلاص، وطلب الدنيا بعمل الآخرة لم يوضع له القبول ولم يبارك فيه،والتطبيقات الدّعوية للإخلاص،كثيرة،ومنها:

1- كلّ عمل لايكون دافعه الرغبة في نيل رضا الله تعالى، ونيل ماعنده، فإنّ التوفيق لايصاحبه.

2- تجريد النية في العناية بالمدعوين: فالداعية حينما يدعو إنســـانا، فإنّ نيّته هي أن يصلحه الله، لذلك فالداعية هو ناصح، والناصح مولع بصلاح المنصوح، وليس هدفه من المدعوين، إظهار عيوبهم وجهلهم وتعييرهم، وإهانتهم،وإذلالهم، والحطّ من شـــأنهم، والرّفع من شـــأن نفسه، وإبراز علمه، وإظهار عزّته، وإنّما غايته أن يعتني بمن يدعوهم، وبمن يعلّمهم.

3- من ترك شيئا لله، عوّضه الله خيرا منه: والعوض من الله تعالى، لا حصر له ولا مثيل.

4- الحذر من الانسياق وراء الظنون والشكوك، فإن له آثارا مدمّرة على الدعوة إلى الله تعالى.

5- بناء العقيدة السليمة القائمة على حسن الظن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين .

6- معاملة الناس بالظاهر وإيكال السرائر إلى الله .

7- إخلاص النية لله تعالى وحده.

8- طلب الآخرة،والتعلّق بها.

9- حرص المربي على التربية الإيمانية.

10 – الحذر من التمادي في المدح والإطراء .

11– عدم التهاون في معالجة الأخطاء،ونقد المخطئ نقداً بناءً، بعيدا عن التشهير والفضيحة .

12 – التركيز على أعمال القلوب في الطرح والمناقشة .

المطلب الثاني: اجتناب المعاصي

الحياء من أهم الأخلاق التي حث عليها الإسلام ورغب إلى التمسك بها، فالحياء خلق الأنبياء وديدنهم، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه مما بقي من كلام النبوة الأولى فالحياء كان من خلق الأنبياء جميعاً، قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)[39]، فقد ربوا أبناءهم عليها وذلك لعظمها عند الخلق وعند الله، كما قال الله تعالى عن حال ابنتي شعيب عليه السلام حينما أرسل إحداهما إلى موسى عليه السلام بعدما سقى لهما الغنم، فقال تعالى عن حالها: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}[40]، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِهَا عَلَى وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ[41] خَرَّاجة وَلَّاجَةً[42]، يتبين من قول الفاروق رضي الله عنه أنها كانت تستحي من الناس والخلق، ولم تكن كثيرة الخروج والدخول للمنزل ولا بالجريئة التي لا تستحي من أحد، فتبين من قوله رضي الله عنه حبه لهذا الخلق وبغضه للجرأة المنافية للحياء.

كما أن الحياء من الإيمان، فالإيمان لا يكتمل إلا إذا اقترن بالحياء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)[43]، قال الخطابي رحمه الله "أنّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك من الإيمان"[44]، فالداعي المسلم مطالب بالتزام خلق الحياء في حياته العامة، وحياته الدعوية بشكل خاص، فالحياء يبعد صاحبه عن المعاصي، فالداعي أشد الناس حاجة للابتعاد عن المعاصي، فيكون ذلك أدعى إلى الاقتداء به.

وتستنبط هذه الصفة من كتاب زاد المعاد في قول الإمام ابن القيم رحمه الله "وَالْحَيَاءُ هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، فَإِذَا فَقَدَهَا الْقَلْبُ، اسْتَحْسَنَ الْقَبِيحَ وَاسْتَقْبَحَ الْحَسَنَ، وَحِينَئِذٍ فَقَدِ اسْتَحْكَمَ فَسَادُهُ"[45]، فالداعي ينبغي عليه أن يلتزم الحياء ويتخلق به؛ لأنه من أشد الناس حاجة لسلامة الصدر، لكي تصفو نفسه للدعوة وتبليغها، فالمعاصي تفسد القلب وتحسن القبيح وتزينه، وفساده يكون عائقاً كبيراً في وجه انتشار الدعوة وتبليغها.

وكذلك ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم "لَوْلَا أَنِّي أَسْتَحِي مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا"[46]، يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم أن من صفات النبي صلى الله عليه وسلم الحياء وأنها من الصفات العظيمة، فالداعي المسلم يتخلق بهذه الصفة الحميدة؛ تأسياً بالداعي الأول صلى الله عليه وسلم،

فيستحي من الله تعالى ويستحي من الملائكة ويستحي من الناس، فلا يترك ما يأمر به المدعوين، ولا يأتي ما ينكره عليهم،والتطبيقات الدعوية للحياء من اتركاب المعاصي كثية،ومنها:

1- الاشتغال بالعلم: فالعلم يصعد بالهمة، ويورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال، فيتقي فضول المباحات التي تشغله عن التعبد: كفضول الأكل، والنوم، والكلام، ويراعي التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات،ويبصره بحيل إبليس وتلبيسه عليه؛ كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثوابا.

2- إرادة الآخرة، وجعل الهموم همّا واحدا: قال الله -تعالى-: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)[47].

3- كثرة ذكر الموت: لأنه يدفع إلى العمل للآخرة، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، وإيقاظ العزم على الاستقامة، والتجافي عن دار الغرور.

4- الدعاء: لأنه سنة الأنبياء، وجالب كل خير.

5- الاجتهاد في شغل النفس بالحق والطاعة والخير،والنفس إن لم تشغلها بالحق،شغلتك بالباطل".

المطلب الثالث : التودّد للنّاس

التودد للناس، من الصفات المحمودة والتي يحبها الجميع، فالمحبة تدفع الإنسان لفعل الخير وتمني الخير للآخرين،وجلب النفع لهم، لذلك كان أدعى للداعي التخلق بها، فالداعي المسلم يسعى لجلب الخير والمنفعة للمدعوين لهدايتهم إلى الطريق السوي طريق النجاة في الدنيا والآخرة، والله تعالى مدح المودة في القرآن الكريم بل إنه وعد أهل الصلاح بالمحبة، فقال {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}[48]، قال مجاهد : يحبهم الله ويحببهم إلى المؤمنين[49].

بل إن الداعي مطالب بالتودد للمدعوين؛ لأن ذلك يساعد على تأليف قلب المخاطب، حتى وإن أصابه من طرفه بعض الإيذاء والاعتداء، فالله تعالى أوصى الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم بالتودد للمدعوين ومقابلة إساءتهم بالإحسان، حيث قال : {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[50]، أي : ادْفَعْ سَفَاهَتَهُمْ وَجَهَالَتَهُمْ بِالطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الطُّرُقِ، فَإِنَّكَ إِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تُقَابِلْ سَفَاهَتَهُمْ بِالْغَضَبِ وَلَا إِضْرَارَهُمْ بِالْإِيذَاءِ وَالْإِيحَاشِ اسْتَحْيَوْا مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ وَتَرَكُوا تِلْكَ الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ[51]، فتبين أن مقابلة الإساءة بالإحسان من أهم الأساليب الداعية إلى إصلاح حال المدعوين،ودفعهم لترك عاداتهم السيئة والقبيحة.

وتستنبط هذه الصفة من كتاب زاد المعاد أن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الخير لكل من يخدمه فكان يدعو لمن يسدي إليه معروفاً، وهذا الدعاء لا يكون إلا محبةً منه أن ينفع أخاه

المسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن دعاؤه مستجاب، فأراد أن يقابل إحسان المدعو له بالإحسان إليه بالدعاء، فَلَمَّا وَضَعَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَضُوءَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ[52].

كما فسر الإمام ابن القيم رحمه الله آية {والله لا يحب الظالمين}[53]، فقال "تَنْبِيهٌ لَطِيفُ الْمَوْقِعِ جِدًّا عَلَى كَرَاهَتِهِ وَبُغْضِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ انْخَذَلُوا عَنْ نَبِيِّهِ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَشْهَدُوهُ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا أَعْطَاهُ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ، فَبَّطَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَفَّقَ لَهَا أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ"[54]، بين أن الشارع أحب المؤمنين فرزقهم الشهادة في سبيله لتحصيل الدرجات التي أعدها لهم في الآخرة، وحرم منها المنافقين فردهم إلى المدينة يوم أحد ولم يشرفهم بالمشاركة في القتال وتحصيل الشهادة، فهنا دليل واضح على أن محبة الخير للمدعوين من صفات الله تعالى، وبالتالي يظهر شرفها وشرف التخلق بها، فالداعي المسلم يحرص كل الحرص

على محبة الخير للمدعوين،والتودد إليهم، والتخلق بهذه الصفة الحميدة،لها تطبيقات دعوية عديدة،ومنها:

1- يتودّد الداعية في دعوته للناس،ابتغاء مرضاة الله، وليس لأغراض دنيوية.

2- التودد من أجل فتح قلوب الناس للدعوة إلى الله تعالى.

3- رقة الطبع،وبشاشة الوجه،مع المدعوين.

4- التواضع والرفق،واللين،في التعامل مع المدعوين.

5- الهدايا ولو كانت شيئا يسيرا.

6- إفشاء السلام.

المطلب الرابع: تبليغ الدعوة بلا خوف

الداعي إلى الله يضحّي بنفسه وماله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى،وتكون لديه الشجاعة الكافية لتبليغ الدعوة إلى الناس مهما كانت الظروف المحيطة به،فإذا اشتد البأس،رأيت شدة قلبه [55]،وإقدامه على المكاره، والمهالك، وإذا انتشرت المخاوف، رأيت ثبات جأشه، واستهانته بالموت[56].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شجاعا مقداما، كما وصف ابن عمر النبي صلى الله عليه وسلم (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْجَدَ، وَلَا أَجْوَدَ، وَلَا أَشْجَعَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[57].

وهذه الشجاعة لا تظهر في الداعي إلا إذا كان يحمل همّ المدعوين،ويهتم بأمرهم،ويكون يقظا في كل وقت،ولكل أمر طارئ قد يطرأ، لذلك ينبغي للداعية أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتأسّى به، فإن الاتصاف بهذه الصفة العظيمة تجعل الداعي منشرح الصدر، حليما صابرا على ما قد يواجهه في سبيل دعوته.

ولأهمية الشجاعة في الدعوة إلى الله تعالى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتحريض المؤمنين على القتال فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}[58]، أي: حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم[59]، كما مدح أنبياءه بأنهم لا يخشون أحداً إلا الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم قابل صناديد قريش وحده مع عدم قدرته عليهم، فقال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}[60]، فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن، ولا تخش أحداً إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءاً[61].

وتستفاد هذه الصفة من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله عن أسباب انشراح الصدر وسعادته ولذته، فقال "وَمِنْهَا الشَّجَاعَةُ، فَإِنَّ الشُّجَاعَ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ، مُتَّسِعُ الْقَلْبِ، وَالْجَبَانُ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَحْصَرُهُمْ قَلْبًا، لَا فَرْحَةٌ لَهُ وَلَا سُرُورٌ، وَلَا لَذَّةٌ لَهُ، وَلَا نَعِيمٌ إِلَّا مِنْ جِنْسِ مَا لِلْحَيَوَانِ الْبَهِيمِيِّ، وَأَمَّا سُرُورُ الرُّوحِ وَلَذَّتُهَا وَنَعِيمُهَا وَابْتِهَاجُهَا فَمُحَرَّمٌ عَلَى كُلِّ جَبَانٍ"[62]، فإن الشجاعة تورث السعادة واللذة، وهذا لا يمكن للداعي تحصيله إذا كان جباناً لا توجد عنده الشجاعة الكافية لعرض دعوته ورسالته للمدعوين، فإذا تملّك الشجاعة الكافية،وعرض دعوته للناس،استطاع تحصيل السعادة التي تتحصل بسبب هداية المدعوين، فإن الداعي يجد لذة ذلك في حياته وبعد وفاته،ومما سبق يتبين أن التطبيقات الدعوة للشجاعة متعددة،ومنها:

1- أن تكون الأعمال كلها،خالصة لله تعالى.2- الشهادة بالحق،وعدم كتمانها في كل المواقف.

3- الثبات على الحق،ونصرته.4- التغلب على رهبة المواقف.5- الانتصار على أوهام المخاوف.

المطلب الخامس: خشية الله تعالى

إن من أهم لأمور التي تؤدي إلى تعديل السلوك خشية الله، والداعي المسلم مطالب بتعديل سلوكه حتى يكون قدوة لغيره، يقتدي به المدعو في جميع الصفات والسلوكيات التي تصدر عنه، لذا يجب أن تكون سلوكياته وأخلاقه موافقه للشريعة الإسلامية حتى يتأسى به المدعو، ولا تكون سلوكياته وصفاته سبباً لصد المدعو عن الدعوة الإسلامية التي يدعو إليه الداعي، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالخشية التي تكون في قلب الداعي إلى الله، فالخشية سبب رئيسي لتعديل السلوك، فالداعي الذي يخشى الله ويتقيه يتجنب جميع الأمور التي تؤدي إلى تشويه أخلاقه وصفاته، والتي بدورها تؤثر على صورته أمام المدعوين، مما يؤثر سلباً على الدعوة التي يدعو إليها.

ولجلالة هذه الصفة وقدرها،مدح الله تعالى عباده المخلصين بها وهم العلماء فقال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(63)، فاللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْعُلَمَاءَ فِي كِتَابِهِ بِخَمْسِ مَنَاقِبَ، ...، والتي منها الْخُشُوعُ في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ}(64)، ومنها الْخَشْيَةُ في قوله تعالى{إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ}(65)(66)، يتبين من الآية أن العلماء والدعاة من أولى الناس بالزام أنفسهم بها وجعلها سجية في نفوسهم، يستخدمونها في جميع أمور حياتهم.

وقد أرشدنا النبي ﷺفي الكثير من الأحاديث النبوية إلى التحلي بالخشية،حتى لا يركن الفردالمسلم إلى التواكل، وترك العمل والجد،وذلك لأن خشية الله تعالى تورث الجد في الطاعة والمسارعة إلى الأعمال الصالحة، فقال ﷺ :(لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ)67، وَفِيهِ بَيَانُ كَثْرَةِ عُقُوبَتِهِ لِئَلَّا يَغْتَرَّ مُؤْمِنٌ بِطَاعَتِهِ، أَوِ اعْتِمَادًا عَلَى رَحْمَتِهِ فَيَقَعُ فِي الْأَمْنِ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ68،فالداعي المسلم يحرص كل الحرص على خشية الله تعالى واتباع أوامره واجتناب نواهيه، والمسارعة إلى الطاعات قدر استطاعته،حيث أن من أهم الطاعات،الدعوة إلى الله تعالى،والسعي لهداية المدعوين.

وتستخلص هذه الصفة من كتاب زاد المعاد عندما أشار الإمام ابن القيم ؒ إلى سبب بكاء النبي ﷺوأن ذلك كان أحياناً بسبب الخوف من الله وخشيته، فالداعي المسلم يحذو حذو النبي ﷺ في التخلق بهذا الخلق المحمود، تشبهاً بصاحب الدعوة الأول، فقال رحمه الله " وَأَمَّا بُكَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ، فَكَانَ بُكَاؤُهُ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيِّتِ، ...، وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَهُوَ بُكَاءُ اشْتِيَاقٍ وَمَحَبَّةٍ وَإِجْلَالٍ مُصَاحِبٌ لِلْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ"(69).

كما تستخلص هذه الصفة من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله عن البكاء،حيث بين أن البكاء المحمود الذي يصدر من خشية الله البعيد عن الرياء والتكلف، فقال رحمه الله "فالبكاء نَوْعَانِ: مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ، فَالْمَحْمُودُ أَنْ يُسْتَجْلَبَ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ وَلِخَشْيَةِ اللَّهِ لَا لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَالْمَذْمُومُ أَنْ يُجْتَلَبَ لِأَجْلِ الْخَلْقِ، ...، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ابْكُوا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا"(70)، فكلام السلف الصالح دليل واضح على أن خشية الله ضرورية للفرد المسلم،ينبغي له أن يستشعر وجود الله معه في كل حاله، ويلزمه ذلك مراقبة الله وخشيته، والبكاء من خشيته، لما يترتب عليه من الخير في الآخرة قال ﷺ : (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)(71).

فالحاصل أن خشية الله من الصفات الحميدة والحسنة،ومن تطبيقاتها الدعوية:

1- بكاء العين من خشية الله،هي عبادة تبعد العيون عن كارثة المواقع الإباحية والنظر المُحرّم.

2- تبليغ شرع الله،وعدم محاباة أحد في دين الله.

3- انزجار القلب،ووجله وخوفه،وهربه من سخط الله،وغضبه،وعقوبته،ووعيده في الآخرة.

4- التوبة العاجلة من الذنوب والمعاصي، وخاصة معاصي القلوب.

5- تربية النّفس على التواضع لله تعالى،وعدم التعالي على عباده.

6- التأمّل والتفكير في خلق الله تعالى.

7- طلب العلم الشرعي،ونشره.

8- التضرّع لله تعالى،والتذلل له.

المطلب السادس: التزام الاستقامة

إن من أهم صفات الداعية المسلم،هي الاستقامة، فهو ملتزم بأحكام الإسلام وتعاليمه، مطيع لله ورسوله، ثابت على الصراط المستقيم، قال تعالى: {إن الذين، قالوا ربُنا الله ثم استْقاموا}[72]؛ معنى قوله استْقامُوا عملوا بطاعته ولَزِموا سُنة نبيه ﷺ[73].

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد"[74]، وقيل هي: سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك[75].

والاستقامة في الدين من الأمور المهمة التي ينبغي للإنسان الحرص عليها، ولأهميتها كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بها، فقال له رجل: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال : (قل: آمنت بالله ثم استقم)[76]، قال النووي رحمه الله: فالاسْتِقَامَةُ دَرَجَةٌ بِهَا كَمَالُ الْأُمُورِ وَتَمَامُهَا وَبِوُجُودِهَا حُصُولُ الْخَيْرَاتِ وَنِظَامُهَا وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِيمًا فِي حَالَتِهِ ضَاعَ سَعْيُهُ وَخَابَ جَهْدُهُ[77]، فكلام الإمام النووي واضح في أن الإنسان الغير المستقيم لا يفيده عمله،وخسر ثواب أعماله، فبالتالي الداعي داخل في هذا أيضا،فإن الداعي الذي يسلك سبيلا غير سبيل الاستقامة،يخسر عمله،وتكون دعوته وبالا عليه،فلا يستجيب أحد لدعوته، ولا يجني غير التعب،ولا يعود عليه أي شيء بالنفع، ولا تتحقق أهدافه الدعوية التي يرمي إليها،ولا يتأثر بدعوته أحد.

ولفضلها وعظم منزلتها أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها، فقال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[78]، قال الرازي في تفسير الآية "وهذه الْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، سَوَاءٌ كَانَ مُخْتَصًّا بِهِ أَوْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِتَبْلِيغِ الْوَحْيِ وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ"[79]،

يتضح من كلامه رحمه الله أن الاستقامة ينبغي مراعاتها في جميع الأعمال والأمور،سواء في العقائد أو غيرها من الأعمال، والدعوة إلى الله من أشد الأعمال التي تستوجب الاستقامة فيها، فالداعي المسلم

مطالب بالاستقامة على شرع الله ودينه، وبعد ذلك تبليغه للمدعوين بعد ذلك، حتى يكون عون الله معه، وحتى يكون لدعوته تأثير في نفوس المدعوين.

وتستنبط هذه الصفة من كتاب زاد المعاد من قوله رحمه الله: "وَالرَّبُّ تَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِه أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يَقَعُ الْفِعْلُ حَتّى يُرِيدَ سُبْحَانَهُ مِنْ نَفْسِه أَنْ يُعِينَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنّا الاسْتِقَامَةَ دَائِمًا، وَاتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَيْه"[80]، فالداعي المسلم ينبغي له التزام الاستقامة في أموره كلها، والتزامها في وظيفته الدعوية بشكل خاص؛ لأن الله سبحانه وتعالى طالبه بها.

كما تستنبط صفة الاستقامة أيضا من قوله:"وَمَا الْعِبَادُ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْه، وَهُوَ الْهِدَايَةُ إِلَى صِرَاطِه الْمُسْتَقِيمِ، الْمُتَضَمِّنِ كَمَالَ مَعْرِفَتِه، وَتَوْحِيدِه وَعِبَادَتِه بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِه، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالاسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ"[81]،فبين أن العباد أحوج ما يكونون إلى طلب العون من الله تعالى للهداية إلى الصراط المستقيم،بفعل المأموروااجتناب المنهيات،والتزام ذلك والثبات عليه حتى الممات وهو عين الاستقامة.

وتستنبط هذه الصفة من شرح ابن القيم لقوله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا – أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا – كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ به، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا)[82]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الاسْتِقَامَةُ، وَهِيَ السَّدَادُ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَالْمُقَارَبَةُ، فَإِنْ نَزَلَ عَنْهَا: فَالتَّفْرِيطُ وَالإِضَاعَةُ[83].

فالحاصل أن الداعي يجب عليه التحلي بصفة الاستقامة على الدين،ومن تطبيقاتها الدعوية:

1- دعوة المخاطبين إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[84].

2- لزوم الأوامر والنواهي،بفعل الأمر وترك النّهي.

3- معاملة الناس بعدل وإنصاف.

4- وقوع الأعمال وحصولها وفق الأمر الشرعي لا البدعي،قال تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}[85].

5- التأسيس السّليم للأسرة،والقيام بواجباتها.

6- الاختيار السّليم للمدارس التعليمية.

7- الحرص على البيئة الصّالحة.

أهم نتائج البحث :

1- الإمام ابن القيم رحمه الله عالم موسوعي،وداعية قدير.

2- احتوى كتاب زاد المعاد جواهر الفرائد،وتطبيقات دعوية كثيرة.

3- الشهرة وحب الجاه والظهور من أهم العوائق التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية، بل إنها من أهم الأسباب التي تذهب بركة الدعوة التي يقوم بها الداعي إلى الله.

4- التودّد للنّاس، سبيل مختصر للتأثير في المدعوين،واستمالتهم للدعوة.

5- خشية الله والخوف من عقابه،مقياس الاستقامة.

الحواشي

(1) فصلت33.

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م (234/14)، ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد، ذيل طبقات الحنابلة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م، (171/5).

(3) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط15، دار العلم للملاين، بيروت، 2002م، (56/6).

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية (235/14).

(5) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القُضَاعي، الإمام، العلامة، الحافظ، محدث الشام، وقد برع ومهر وتقدم في فنون كثيرة، ولاسيما في معرفة الرجال، فهو حامل لوائها، والقائم بأعبائها، وكان رحمه الله ثقة، حجة، كثير العلم، حسن الأخلاق، وقد ترافق هو وابن تَيْمِيَّة كثيراً في سماع الحديث، ابن كثير، البداية والنهاية (191/14).

(6) ابن ناصر الدين، الرد الوافر، ص68.

(7) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ، أبو الفداء، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في الشام، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق سنة 774هـ، وتناقل الناس تصانيفه في حياته، الزركلي، الأعلام، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002م،(320/1).

(8) ابن كثير، البداية والنهاية (246/14).

(9) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة سنة 852هـ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، الزركلي، الأعلام، (178/1).

(10) ابن حجر، الدرر الكامنة (21/4).

(11) علي بن أحمد بن عمر، نور الدين السخاوي، باحث حنفي، صنف: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، الزركلي، الأعلام، (258/4).

(12) صديق حسن خان، التاج المكلل، ص419.

(13) جمال السيد، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها (134/1).

(14) المرجع السابق (234/14).

(15) المرجع السابق (234/14).

(16) تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الدمشقي، الإمام، العالم، والفقيه، الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام، أَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا، أخذ منه التفسير والحديث والفقه والفرائض وعلم الكلام، الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، ط1، بيروت، دار احياء التراث، 2000م، (270/2).

(17) الشيخ العابد الناسك أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوبَ بن سعد، قَيِّمُ الْجَوْزِيَّةِ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا قَلِيلَ التَّكَلُّفِ، وَكَانَ فَاضِلًا، وَقَدْ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنِ الرَّشِيدِيِّ الْعَامِرِيِّ، ابن كثير، البداية والنهاية (110/14).

(18) ابن كثير، البداية والنهاية (235/14).

(19) ابن حجر، الدرر الكامنة، ت: محمد عبد المعيد، ط2، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972م، (139/5).

(20) هو أحمد بن عبد الرّحمن بن عبد المنعم بن نعمة النّابلسي، ولد سنة (628هـ)، سمع بها من عمّه تقي الدّين يوسف، ومن محيي الدّين بن الجوزي، فقيه إمام عالم لا يدرك شأوه في علم التّعبير، وله مصنّف كبير في هذا العلم، توفي سنة (697هـ)، ابن العماد، شذرات الذهب، ت: محمود الأرناؤوط،ط1،بيروت،دار ابن كثير، 1986م، (764/7).

(21) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م، (538/3).

(22) الندوي، علي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ط3، دار ابن كثير، القاهرة، 2007م، (319/2).

(23) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، (266/1).

(24) هو الحسن بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن، ولد في الغراس سنة 1093هـ، وتفقه في مدينة ذمار، وتقلب في الولايات حتى كان عاملا على بلاد تعز وما والاها، اعتقل الحسن في سجن صنعاء نحو سبع عشرين سنة، ومات سجينا، له تصانيف، كتب أكثرها في السجن، توفي سنة 1160هـ، الزركلي، خير الدين، الأعلام (184/2).

(25) الوجيه، المنهاج السوي، ط1، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1408هـ/1988م.

(26) النحدي، مختصر زاد المعاد، ط2، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ/1987م.

(27) عمارة، ثمر الوداد، ط1، مطبعة مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، 1952م.

(28) الرملي، "المنهج النقدي لروايات المغازي والسير عند ابن قيم الجزية : دراسة تطبيقية على كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد"، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم الحديث الشريف وعلومه، الأردن، العام 2014م.

(29) أبو شعبان، "منهج الامام ابن القيم الجوزية في مختلف الحديث وأثره في بناء الأحكام الفقهية: دراسة تطبيقية من خلال كتابه زاد المعاد"، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه، غزة، العام 1439هـ/ 2018م.

(30) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (92/2).

(31) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (594/3).

(32)ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (116/1).

(33) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ن: محمد زهير، ط1، دار طوق النجاة، جدة، 1422هـ، (6/1)، حديث رقم (1).

(34) سورة البينة الآية 5.

(35) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (35/1).

(36) المرجع السابق (474/3).

(37) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، (116/18).

(38) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، ت: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1986م، (23/6)، حديث رقم (3137).

(39) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (177/4)، حديث رقم (3484).
(40) سورة القصص الآية 25.
(41) السلفع من النساء : الجريئة السليطة، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، (228/6).
(42) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (228/6).
(43) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، (63/1)، حديث رقم (57).
(44) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن، ط1، المطبعة العلمية، حلب، 1932م، (312/4).
(45) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (242/4).
(46) المرجع السابق (581/3).
(47)سورة الإسراء الآية 19
(48) سورة مريم الآية 96.
(49) مجاهد، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام،ط1،دار الفكر الإسلامي، مصر، 1989م، ص459.
(50) سورة فصلت الآية 34.
(51) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، (565/27).
(52) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (424/2).
(53) سورة آل عمران الآية 140.
(54) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (200/3).
(55) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (173/8).
(56) الجاحظ، عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1989م، ص27.
(57) الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن، السنن، ت: حسين سليم، ط1، دار المغني للنشر، السعودية، 2000م، (204/1)، حديث رقم (60)، رجاله ثقات.
(58) سورة الأنفال الآية 65.
(59) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، ت: عبدالرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ص325.
(60) سورة الأحزاب الآية 39.
(61) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان،ت: أحمد محمد شاكر،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت، 2000م، (278/20).
(62) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (25/2).
(63) سورة فاطر الآية 28.
(64) سورة الإسراء الآية 107.
(65) سورة فاطر الآية 28.
(66) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (400/2).
(67) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (2109/4)، حديث رقم (2755).
(68) الملا، علي بن محمد، مرقاة المفاتيح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002م، (1639/4).

(69) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (176/1).

(70) المرجع السابق (178/1).

(71) محمد بن عيسى الترمذي، جامع الإمام الترمذي، تح:أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، قال أبو عيسى:"وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة،وحديث ابن عباس حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق"،وقال الشيخ الألباني:"صحيح"، 175/4 ، رقم 1639،

(72) سورة فصلت الآية 30.

(73) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب (498/12).

(74) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، ت: محمد المعتصم، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، (106/2).

(75) ابن رجب، عبدالرحمن بن محمد، جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرنؤوط، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، (510/1).

(76) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (65/1)، حديث رقم (38).

(77) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (9/2).

(78) سورة هود الآية 112.

(79) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (406/18).

(80) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد (329/2).

(81) المرجع السابق (163/4).

(82) المرجع السابق (181/1).

(83) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين (105/2).

(84) سورة آل عمران الآية 101.

(85) سورة الشورى الآية 15.